(وقالوا اتخذ الرحمان ولدا سبحانه بل عباد مكرمون [26] لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون [27] يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون [28] ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين [29]) عطف قصة من أقوالهم الباطلة على قصة أخرى . فلما فرغ من بيان باطلهم فيما اتخذوا من دون ا آلهة انتقل إلى بيان باطل آخر وهو اعتقادهم أن ا اتخذ ولدا . وقد كانت خزاعة من سكان ضواحي مكة يزعمون أن الملائكة بنات ا من سروات الجن وشاركهم في هذا الزعم بعض من قريش وغيرهم من العرب . وقد تقدم عند قوله تعالى (ويجعلون البنات سبحانه) في سورة النحل .

والولد اسم جمع مفرده مثله أي اتخذ أولادا والولد يشمل الذكر والأنثى والذين قالوا اتخذ ا ولدا أرادوا أنه اتخذ بنات قال تعالى : (ويجعلون البنات سبحانه) .

ولما كان اتخاذ الولد نقصا في جانب واجب الوجود أعقب مقالتهم بكلمة (سبحانه) تنزيها له عن ذلك فإن اتخاذ الولد إنما ينشأ عن الافتقار إلى إكمال النقص العارض بفقد الولد كما قال تعالى في سورة يونس : (قالوا اتخذ ا ولدا سبحانه هو الغني) .

ولما كان المراد من قوله تعالى : (وقالوا اتخذ ا ولدا) أنهم زعموا الملائكة بنات ا تعالى أعقب حرف الإضراب عن قولهم بالإخبار بأنهم عباد دون ذكر المبتدأ للعلم به . والتقدير : بل الملائكة عباد مكرمون أي أكرمهم ا برضاه عنهم وجعلهم من عباده المقربين وفضلهم على كثير من خلقه الصالحين .

والسبق حقيقته : التقدم في السير على سائر آخر . وقد شاع إطلاقه مجازا على التقدم في كل عمل . ومنه السبق في القول أي التكلم قبل الغير كما في هذه الآية . ونفيه هنا كناية عن عدم المساواة أي كناية عن التعظيم والتوقير . ونظيره في ذلك النهي عن التقدم في قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي ا ورسوله) فإن التقدم في معنى السبق .

فقوله تعالى (لا يسبقونه في القول) معناه لا يصدر منهم قول قبل قوله أي لا يقولون ما أذن لهم أن يقولوه . وهذا عام يدخل فيه الرد على زعم المشركين أن معبوداتهم تشفع لهم عند ا إذا أراد ا عقابهم على أعمالهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند ا كما سيصرح نفيه .

وتقديم (بأمره) على (يعلمون) لإفادة القصر أي لا يعلمون عملا إلا عن أمر ا تعالى فكما أنهم لا يقولون قولا لم يأذن فيه كذلك لا يعلمون عملا إلا بأمره .

وقوله تعالى (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) تقدم نظيره في سورة البقرة .

وقوله تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) تخصيص بالذكر ليعض ما شمله قوله تعالى (لا يسبقونه بالقول) اهتماما بشأنه لأنه مما كفروا بسببه إذ جعلوا الآلهة شفعاء لهم عند ا .

ارتضى أي ارتضاه لمن : والتقدير بفعل منصوب صلة عائد لأنه (ارتضى) مفعول وحذف A E الشفاعة له بأن بأذن الملائكة أن يشفعوا له إظهارا لكرامتهم عند ا أو استجابة لاستغفارهم لمن في الأرض كما قال تعالى (والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض) في سورة الشورى . وذلك الاستغفار من جملة ما خلقوا لأجله فليس هو من التقدم بالقول .

ثم زاد تعظيمهم ربهم تقريرا بقوله تعالى (وهم من خشيته مشفقون) أي هم يعظمونه تعظيم من يخاف بطشته ويحذر مخالفة أمره .

و (من) في قوله تعالى (من خشيته) للتعليل والمجرور ظرف مستقر وهو حال من المبتدأ . و (مشفقون) خبر أي وهم لأجل خشيته أي خشيتهم إياه .

والإشفاق : توقع المكروه والحذر منه .

والشرط الذي في قوله تعالى (ومن يقل منهم إني إله من دونه) الخ شرط على سبيل الفرض أي لو قاله واحد منهم مع العلم بأنهم لا يقولونه لأجل ما تقرر من شدة خشيتهم . فالمقصود من هذا الشرط التعريض بالذين ادعوا لهم الإلهية بأنهم ادعوا لهم ما لا يرضونه ولا يقولونه وأنهم ادعوا ما يوجب لقائله نار جهنم على حد (ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك)